غرائب الطبيعة في قاع البحر

وصفنا في المقالة السابقة نباتاً يشبه الحيوان وهو السفنط الحساس ونحن ذاكرون هنا حيواناً يشبه النبات في رسوخ جسمهِ في الارض وتشعب فروعهِ وهو حيوان المرجان

كان الاوربيون يعيّرون الاميركيين بان علمهم كلهُ مقتبس من اوربا وانهم لم يبتكروا شيئاً ولا تجشموا مشقة البحث في موضوع علمي كما يحق لهم ان يعيروننا الآن . ولقد كان ذلك قبلما تمكّن الاميركيون من تنظيم امورهم واستخراج خيرات ارضهم وتوسيع مصادر ثروتهم فلما اثروا ربطوا الاموال الوافرة لبحث العلمي فسبقوا اوربا او كادوا واثبتوا ان الغنى قبل العلم ونرى علماءهم يندو بين الآن للبحث في اجرام السماء ومجاهل الارض واعماق البحر . وآخر ما قرأناهُ لهم من هذا القبيل انهم استنبطوا انبوباً معدنياً مدرّجاً مؤلفاً من حلقات كثيرة يضاف بعضها الى بعض في اسفلهِ غرفة لها كوة من الزجاج فيدلّى هذا الانبوب الى قاع البحر من سفينة كبيرة ويقل فيهِ العلماء والمصورون الى غرفتهِ فيرون من كوتها الزجاجية ما في قاع البحر من السمك والمرجان ويصورونها بالوانها المختلفة وينزل ايضاً الغواصون في الماء لابسين خوذاً تحيط برؤوسهم متصلة بانابيب توصل الهواء اليهم لتنفس فيقتلعون ما شاؤوا من المرجان ويربطونهُ بسلاسل مدلاة اليهم من السفن

وقد وصف امين الاحياء البحرية في متحف التاريخ الطبيعي الاميركي رحلة من رحلات الاستكشاف البحرية في مجلة السينتفك اميركان قال ما خلاصتهُ

ان متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بعث البعثات المختلفة الى كثير من اقطار الارض وخص بعثتي بالنزول الى قاع البحر لجلب قطع من المرجان توضع في المكان المعد لتمثيل الاحياء البحرية وكان معي جماعة من المصورين والغواصين وسفن مختلفة ومن اهم ما فيها الانبوب المشار اليهِ آنفاً ورنش لنشل القطع الثقيلة من قاع البحر والغرفة التي في طرف هذا الانبوب قطرها خمس اقدام فانزلناها الى قاع البحر عند سواحل المرجان ونزلنا اليها في الانبوب المدرج وهي تسع ثلاثة يجلسون فيها وينظرون الى ما حولها من كوتها الزجاجية فيرون ما في قاع البحر من عجائب الاحياء ما يدهش الابصار ولعلها اول مرة رأى العلماء فيها قاع البحر وما فيهِ وبينهم وبينهُ حاجز من الزجاج . فرأينا مناظر لا تنسى غابات من الاشجار اصابها السحر فصارت صخوراً . وفي شاطئة تعلو ٤ اقدماً او ٢٠ فوق رؤوسنا وتشعب

اغصانها في اعاليها و يبرز بعضها فوق الماء و بينها نوامي خفلفة الالوان من الابيض الى الازرق تخترقها اشعة الشمس الذهبية

وقاع البحر عند اطراف هذه الغابة الحجرية خليط من الجذوع والاغصان والقرون والافنان وبعضها يظهر شخيفاً لا يكاد يحتمل اللمس و بعضها كالاشجار الغليظة. وهناوهناك نوامي مرجانية بمدملكة الرؤوس كالقطر متفرقة او مجتمعة اثنين او ثلاثة ثلاثة وعلى رؤوسها بقع خضراء او سنجابية وقاع البحر بينها تغطيه شذور ذهبية كأن سفينة من سفن القرصان مشحونة ذهباً مسلوباً انكسرت هناك فبُدر ذهبها في قاع البحر وما هي الاَّ نوع من المرجان وقع عليه نور الشمس من خلال الامواج المتلاطمة فانعكس عنهُ اشعة ذهبية

وما من بقعة هناك الاَّ والاسماك تنتابها بالوانها المختلفة بعضها كالياقوت الازرق او كالذهب الوهاج تتألق الوانها بانتقالها من الظل الى النور و بعضها كالفراش يرفرف فيظهر كسحب سوداء و بيضاء وصفراء ومنها ما رأسهُ ازرق وذنبهُ اخضر وسائر بدنهِ كأنهُ قُطع قطعتين ثم لحم على غير وضعهِ الاصلي . و بينما انت تنظر اليهِ يمرُّ بك السمك البوَّاق وطولهُ ثماني اقدام وقد نشر فاهُ ثم ترى في الجهة الواحدة ظلاً ينذرك بان كلب البحر على مقربة منك وفي الاخرى شبحاً يسير نحوك الهوينا بين السباحة والمشي وعلى رأسهِ خوذة فيها عينان جاحظتان وهو الغوَّاص وفي يدهِ عتلة يقتلع بها اشجار المرجان ولا يكاد يقتلع شجرة حتى ترى سلة واسعة من الحديد قد تدلَّت الى جانبهِ فوضع فيها ما اقتلعهُ . واذا كان المقتلع كبيراً ثقيلاً ربطهُ بسلسلة من الحديد تدلَّى الى جانبهِ و يرفع بالونش كما ترفع الاثقال الكبيرة . وقد يدنو منا و يضع خوذتهُ امام كوة الزجاج فتخاطبهُ و يخاطبنا وندلهُ على ما نريد اقتلاعهُ فيقتلعهُ . والمصور الذي معنا يصور ما يراهُ بالوانهِ ومعنا آلة تصوير فوتوغرافي تصور ما امامنا من ثوابت ومتحركات لان فيها شرائط فاسئا وقد صورنا كذلك ما طولهُ الفي قدم من الشريط

هذه خلاصة ما رأينا نشرهُ من هذه المقالة وقد رأينا في بعض المجلات التي تنشر فيها الصور الملونة صوراً كثيرة لانواع المرجان وغيرها من الحيوانات البحرية التي صورتها هذه البعثة والوانها لا تقل بهاء عن الوان الازهار في اجمل الحدائق . واخبرنا الذين سافروا في البحر الاحمر ان الوان مرجانهِ تفوق كل وصف فعلامَ هذا الجمال وقد لا تراهُ عين انسان